مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (31) العدد (1)2009
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (31) No. (1) 2009

# الحركة الأدبية في مواجهة المستجدات الحديثة في العصر العباسي

**الدكتور حسان علي الحسن**[*]

(تاريخ الإيداع 5 / 3 / 2008. قبل للنشر في 12 / 1 / 2009)

## □ الملخّص □

الشعر المحدث في العصر العباسي شغل الباحثين والدارسين قدامى ومحدثين لأنه حول الشعر العربي تحولاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل، حيث واكب الشعراء في ذلك العصر طبيعة الحياة اليومية والثقافية والسياسية والاجتماعية فعبروا عنها وصوروها تصويراً فنياً إبداعياً، مما جعلهم يسيرون في ركب التطور والتجديد، فلم يحفلوا بمنهج القصيدة العربية القديمة من وقفة طللية وغيرها ونظموا بما يتفق مع حياتهم الجديدة، مما أثار حفيظة النقاد والأدباء فمنهم من ناصر الحداثة الجديدة في العصر، ومنهم من عارض تلك الحداثة متشبثاً بالقديم، ونشبت خصومة أدبية نقدية تجاه الشعر المحدث ومواكبته لطبيعة العصر، فكان من نتائج تلك الخصومة أنها أنتجت تياراً نقدياً فنياً جديداً وأن الشعر المحدث قد انتصر على القديم وأصبح له اتجاهات شعرية عديدة أبرزها الاتجاه الذاتي والواقعي والشعبي وذلك بفضل الشعراء المحدثين الذين حملوا راية التطور والتجديد فكان لهم الفضل أيضاً في تطور الشعر العربي عبر العصور وليكون منارة الأجيال القادمة إبداعاً وفناً.

**الكلمات المفتاحية:** أدب نقدي – عباسي – مستجدات الحضارة

---

[*] أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (31) العدد (1)2009
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (31) No. (1) 2009

# The Critical literary Movement in Dealing with the latest Developments at Al- Abbasid Era

**Dr. Hassan Ali Al-Hasan**[*]

(Received 5 / 3 / 2008. Accepted 12 / 1 / 2009)

## ☐ ABSTRACT ☐

Scholars and researchers, old and modern, were much interested in the modern poetry at Al- Abbasid Period since it mad poetry undergo a new transformation that was unknown before: the poets, at that period, kept up with the nature of social political cultural every day life, expressing and portraying it artistically and creatively; this made them make their way to development and restoration, not caring about the Arabic poem approaches such as visiting the ruins and so on; therefore, they wrote poetry according to their new lives. This aroused the anger of critics and writers, some of whom advocated to old poetry. Hence, a critical literary disagreement on the modern poetry and its keeping up with the age nature arose. This disagreement, consequently, resulted in a new artistic critical current, indicating that the modern poetic trend, the most prominent of which are the personal trend and the public factual trend: all these were thanks to modern poets who carried the banner of restoration and development- the development of Arabic poetry to be, artistically and creatively, as a guiding light for the coming generations throughout ages.

**Keywords**: instead of cash – Abbasid – Developments.

---

[*] **Associate Prof, Department of Arabic, Arts and Humanities Faculty, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

## مقدمة:

في بداية القرن الثاني الهجري حدثت تطورات جديدة على الأمة العربية والإسلامية حيث انتصر العباسيون على الأمويين عام 132 هـ وأدى ذلك إلى تغيير زماني ومكاني في الحياة الإنسانية بكل علاقاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث انتقلت الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد، فتغيرت العلاقات العامة وفقاً لهذا التغيير الزماني والمكاني فانفتح المجتمع العربي على الشعوب الأخرى كالفرس والهند والأتراك وغيرهم، وأدى ذلك إلى الاحتكاك الثقافي والاجتماعي والسياسي بهم، فتعرف العرب على عادات الآخرين وتقاليدهم الدينية والسياسية وغيرها، واستجدت كثير من المعطيات الأخرى كوفود الغلمان والغلاميات والجواري وشرب النبيذ والغناء واللهو والفن والنقد مواكباً لتلك التطورات والمستجدات الجديدة فكان الشعر انعكاساً لذلك الواقع يصوره ويفسره ويحلله ويواكبه في حين أن بعض الشعراء والنقاد وقفوا موقفاً مغايراً رافضاً لحركة الشعر المحدث في ذلك العصر، ونشبت خصومة بين تيارين في الشعر والنقد تيار الشعر القديم وتيار الشعر المحدث.

## أهمية البحث وأهدافه:

تأتي أهمية البحث من كونه يعالج قضايا فكرية وشعرية ونقدية وحضارية أسهمت في تكوين الفكر العربي الذي دفع حركة التطور والتجديد في الحياة بشتى أنواعها الفكرية والشعرية والإبداعية وما تزال آثار تلك الحركة حتى وقتنا الحاضر، ومن هنا تتجلى أهداف البحث بالكشف عن تلك الآثار التي أظهرت تيارات فكرية وشعرية في العصر العباسي فاهتم النقاد والدارسون بتلك التيارات والحركات الأدبية لتكون عاملاً مهماً في التطور الحضاري للبشرية جميعاً.

## منهجية البحث:

لم يقتصر البحث على منهج واحد في تقصي الحقائق وإنما اعتمدنا على المنهج التاريخي مرة وعلى المنهج الاجتماعي والوصفي أحياناً ولم نغفل عن المنهج النقدي والثقافي كي يكون البحث ملماً بالحالات الإنسانية والإبداعية في ذلك العصر وسوف نتناول الحديث حول تلك الحركة والمستجدات الحديثة في العصر العباسي، مع ما رافقه من تطورات للشعر العربي في ذلك العصر.

### 1- الخصومة بين أنصار القديم والمحدث:

إذا كان الأدب الأموي امتداداً للتقاليد الأدبية الموروثة من العصر الجاهلي فإنه كان – في بعض النواحي – مرآة انعكست عليها التطورات العميقة التي جدت في حياة المجتمع الإسلامي من حزازات قبلية وسياسية، وفي العصر العباسي ظهرت تطورات أكثر عمقاً وتفتحاً على العالم فانتشر الرقيق والجواري والمغنيات في ظهراني المجتمع العربي والإسلامي(1) ومع قرب نهاية الدولة الأموية – في بداية القرن الثاني – ظهرت حركة تجديد حمل لواءها الوليد بن يزيد، حيث أطلق عنان الشعر للتعبير الحر عما يختلج في النفوس نوازع وشهوات، "وأوجد في الشعر العربي القصيدة الخمرية التي تقتصر نفسها على الخمر ووصفها واستشعار تأثيرها... ليس هذا فحسب ولكنه

---

[1] – هدارة (د. محمد مصطفى): اتجاهات الشعر، 143.

اختار أيضاً لصياغة شعره اللغة المألوفة في الحياة اليومية، فاقترب من الشعبية إلى حد بعيد"(2)، ولا نريد أن نغالي كثيراً في دور الوليد بحركة التجديد – كما فعل بعض الباحثين المحدثين – وذلك اعتماداً على ما قال د. هدارة، إذ "أنه من غير المعقول بداهةً أن يكون الوليد أول شاعر في هذه الفترة يظهر في شعره أثر التجديد"(3). وهناك أمر آخر يضيفه د. هداره وجود شعراء في هذه الفترة ظهر في شعرهم فعلاً أثر ذلك التجديد من ناحية تصويرهم لنوازعهم العابثة وإباحتهم وإقبالهم على شعر الخمر في قصائدهم دون غيره لعكوفهم على المجون والشراب، وكذلك من ناحية شعبية لغتهم الشعرية، وأوزانهم الرشيقة وقد ظهر هؤلاء الشعراء أول ما ظهروا في الكوفة"(4). وبظهور حركة التجديد في الشعر العربي ظهرت الخصومة بين أنصار القديم والمحدث، فجاء المحدثون بشعرهم وفقاً لطبيعة واقعهم وحياتهم "فجدت مشكلات أدبية ونقدية انقسم الناس إزاء هذا الشعر إلى فريقين: قدماء، ومحدثين"(5) فالقدماء آثروا الطريقة الشعرية التقليدية، والمحدثون آثروا الحديث عن حياتهم الجديدة، فهذه القضايا التي جدت في القرن الثاني جعلت الخصومة ناشبة، متخذة من عمود الشعر ونهج القصيدة قانوناً تفرضه على الشعراء "إذا نجد العلماء والرواة لا يعدون الشعر شعراً، إلا إذا كان جارياً على النظام الجاهلي القديم، أي في إطار عمود الشعر ونهج القصيدة العربية ولكن المحدثين خرجوا على ذلك العمود في أكثر من نقطة وثاروا على النهج القديم"(6). ولعل ابن قتيبة أول من شرح المقصود بنهج القصيدة.. وفصل نظامها المعين آنذاك فيقول: "سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين، إذ كان نازلة الوبر في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم عن ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمامه التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح فبثه على المكافأة، وهزة للسماح، وفضله على الأشباه، فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين"(7). هذه الطريق التي يجب على الشاعر أن يسلكها كي يحقق لشعره الذيوع في أوساط النقاد والرواة، أما الذين حملوا لواء التجديد بخروجهم على تلك الأقسام التقليدية، فقد قوبلوا بالرفض الشديد من جانب العلماء والرواة الذين لم يسمحوا لهم حتى بإتباع هذه الأقسام ولكن في صورة حديثة يقتضيها التطور الحضاري، ثم يشرح ابن قتيبة ذلك بقوله: "وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام، فيقف على منزل عامر أو يبكي عند مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي، أو يرحل

---

[2] – المرجع السابق ص 144،145.

[3] – المرجع السابق ص145، ومن الباحثين المحدثين على سبيل المثال د. نجيب البهيتي في كتابة "تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري" /323/. ود. طه حسين في حديث الأربعاء. ود. شوقي ضيف في العصر العباسي الأول.

[4] – المرجع السابق ص145، ومن الباحثين المحدثين على سبيل المثال د. نجيب البهيتي في كتابة "تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري" /323/. ود. طه حسين طه في حديث الأربعاء. ود. شوقي ضيف في العصر العباسي الأول.

[5] – عزام (محمد): الأسلوبية منهجاً نقدياً ص 145.

[6] – هدارة (د. مصطفى): اتجاهات الشعر ص /158.

[7] – ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص14، 15.

على حمار أو بغل ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير. او يرد على المياه العذاب الجواري لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة."[8].

فإذا نظرنا إلى معطيات الحياة التي منحتها للشعر العربي وللمجتمع الإسلامي نجد موقف العلماء والرواة المتمسكين بالقديم كان شاذاً يتسم بالتعصب للقديم ولا يعترف بتطور الزمن وتطور المجتمع الإسلامي، فكان ابن قتيبة أول من أراد أن تكون الحركة النقدية عادلة في حكمها، كي توجه الحركة الأدبية وجهتها الصحيحة ووفقاً للتطورات العامة التي تحصل في المجتمع فقال – وهو يرد على العلماء والرواة – معبراً عن رأيه في تلك المسألة: "ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلاً حظه ووفرت عليه حقه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه"[9]. ومن الواضح أن فرقاً كبيراً بين النهجين، نهج القدماء، ونهج المحدثين، إذ أن الطريقة المحدثة في الشعر العربي تعتبر ثورة أحدثها المجددون بنبذ بكاء الأطلال والوقوف عليها وتحملوا في سبيل ذلك كان معارضة من العلماء والرواة الذين تمسكوا بنهج القصيدة القديمة لا يريدون أن يحيدوا عنه أو يخضعوا لتطور الزمن، وكأنهم نسوا "أن نبتت عند القوم آراء ومذاهب وأفكار لم تكن تخطر للقدامى ببال"[10]. وابن قتيبة يشير إلى سيرورة العلم بالتطور عبر العصور فيقول: "فلم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره"[11]. فهو بذلك يقدم لنا تعليلاً منطقياً لضرورة الاقتناع بتطور الشعر وبالحركة الأدبية التجديدية التي حمل رايتها بعض الشعراء.

**وفي القرن الثاني:** إذ ليس كل حديث مكروهاً، فالقديم كان حديثاً في عصره فلم يرفض لحداثته، والحديث سيصبح قديماً بعد عصره وسيكون عاملاً في تطور الشعر.

وأما عن عمود الشعر فقد حدده العلماء والرواة بسبعة أبواب هي:

شرف المعنى، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، وجعلوا لكل باب من هذه الأبواب معياراً كي تتفق المقاييس في النظم وفقاً لعمود الشعر، ومن الملاحظ أن الشعراء المحدثين قد خرجوا على هذا العمود في بعض نواحيه، ولهذا فبوسعنا أن نحدد عناصر الخصومة بين أنصار القدماء وأنصار المحدثين في اختلافهم على جزئيات عمود الشعر ونهج القصيدة العربية، حيث يرد ابن رشيق على الأقدمين لقوله: "إن القدماء نصبوا الأعلام للمتأخرين ولكن المعاني أبداً تتردد وتتولد والكلام يفتح بعضه بعضاً وإن للمحدثين توليدات وإبداعات عجيبة لم تقع للقدماء وخاصة لأن المعاني اتسعت باتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب في الأرض وأخذهم بمظاهر الحضارة المختلفة"[12]. مظاهر رائعة وحياة جديدة

---

[8] – المصدر السابق ص16.

[9] – المصدر السابق ص5.

[10] – الكفراوي (د. محمد عبد العزيز): الشعر العربي بين الجمود والتطور ص 149.

[11] – ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 5.

[12] – ابن رشيق: العمدة، تح محمد محيي عبد الحميد 236/2 أ 238.

مختلفة كل الاختلاف عن حياة البادية، "فلم يكن بد من أن يساير الشعر العربي تلك الحياة الجديدة"[13]. ولعلنا ندرك أبعاد تلك الخصومة من حديث أورده ابن رشيق لابن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين، فهي "إنما تروى لعذوبة ألفاظها، ورقتها، وحلاوة معانيها وقرب مأخذها، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار وذكر الوحوش والحشرات ما رويت، لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه، وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام، وأن الخواص في معرفتها كالعوام، فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب، يستميل أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الوزن. وقائل الشعر الحوشي بمنزلة المغني الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت: يعرض عنه إلا من عرف فضل صنعته على أنه إذا وقف على فضل لم يصلح لمجالس اللذات وإنما يجعل معلماً للمطربات من القينات: يقومهن بحذقة ويستمتع بحلوقهن دون حلقه، ليسلمن من الخطأ في صناعتهن ويطربن بحسن أصواتهن"[14]. ويعقب ابن رشيق على قول ابن وكيع بقوله: "وهذا التمثيل الذي مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع"[15]. لأنه قدم تحليلاً منطقياً لما أحدثه الشعراء المحدثون في الحركة الأدبية من تجديد، وفيه دليل – أيضاً – على مواكبة الشعر لتطورات الحضارة والمجتمع، وقدرة الشعراء على مواكبة الشعر لتطورات الحضارة والمجتمع، وقدرة الشعراء على تمثل العصر من النواحي الفكرية والحضارية وغيرها، ثم يمثل للشعرين: القديم والحديث **فيقول:** "وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين: ابتدأ هذا بناءً فأحكمه وأتقنه ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حس، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن"[16]. ولعلنا نلاحظ أن تلك الخصومة قد اتسمت بأبعاد هامة تجعلها أكثر نشاطاً وحيوية، فنجد لها بعداً فنياً، لأنها تدور حول فنية الشعر المحدث من حيث قدرته في استمالة الناس وفي الاستماع إليه في المجالس، وذلك لقربه من أفهامهم بما يتلاءم مع طبيعة حياتهم لا حياة الأمويين، "فالشعر – في المحك الأخير – يهدف إلى الارتقاء بالإنسان والارتفاع به عن مستوى الضرورة... وهذا يقود مباشرة إلى إدراك الخاصية النوعية للشعر باعتباره توصيلاً متميزاً للقيم"[17]. وأغلب الحديث عن فنية الشعر كان ينبعث من مفهوم الجودة والرداءة، "فلما كانت للشعر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجديد والكمال، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان، أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة[18]، وإذا وقفنا عند تحليل لعناصر عمود الشعر ومعاييره عند العرب فإننا ندرك أن المقصود بتلك العناصر قواعد فنية التزموها لقول الشعر، وذلك وفق ما يرون فيها من ذوق فني وسر جمالي، في حين أن بعضهم تحدثوا عن قواعد الشعر فقالوا: **قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب** فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع[19] وبحسب تلك المفاهيم أصبحت هناك فروق واضحة بين شعر المحدثين وشعر الأقدمين وسواء كانت في نهج القصيدة أم في القواعد الفنية التي حددها عمود الشعر التقليدي، فلا بد من

---

[13] – الكفراوي (د. محمد عبد العزيز): الشعر العربي بين الجمود والتطور، ص 158.

[14] – ابن رشيق: العمدة 93/1.

[15] – المصدر السابق 92/1.

[16] – المصدر السابق92.

[17] – عصفور (د. جابر): مفهوم الشعر، ص 102.

[18] – ابن جعفر (رامه): نقد الشعر، تح د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص 64

[19] – ابن رشيق: العمدة /120/.

الخصام والخلاف من حيث قبول العقل والفهم لهذه المسيرة الشعرية الجديدة في القرن الثاني، إذ لا تخلو من وجهة نظر منطقية، ولهذا أشار ابن رشيق إلى ذلك بقوله سمعت بعض الحذاق يقول: **ليس للجودة في الشعر صنعة إنما هو شيء يقع في النفس عند المميز كالفرند في السيف والملاحة في الوجه؟؟**(20)

فليس غريباً بعد ذلك إذا وجدنا بعداً آخر لتلك الخصومة يتجلى في نشاط الحركة النقدية التي اتجهت باتجاهين الأول يؤيد القديم والثاني يؤيد المحدث كنتيجة طبيعية لعنصري الخصومة، فابن الأعرابي مثلاً يقول عن شعر المحدثين وقد سمع شعراً للأبي تمام: إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل؟؟(21) وقد يوجه النقد لكلمة في بيت شعر قاله شاعر من المحدثين، فمحمد بن يزيد المبرد يقول: كان أبو العتاهية مع اقتداره في قول الشعر: ولربما سئل البخيل الشيء لا يسوي فتيلاً، لأن الصواب "لايساوي"، أنه من ساواه يساويه(22) وإذا كان النقد في القرن الثاني الهجري استقل بالبحث والتأليف على أيدي النقاد وعلماء الأدب وسواهم، فيثبت قدامة في نقده للشعر أن المديح رافق تطور العصر فكراً وحضارة وسياسية فيقول: فأما مدح ذوي الصناعات، كأن يمدح الوزير والكتاب بما يليق بالفكرة والروية وحسن التنفيذ والسياسة فإن انضاف إلى ذلك الوصف السرعة في إصابة الحزم، والاستغناء بحضور الذهن عن الإبطاء **لطلب الإصابة كان أحسن وأكمل للمدح كما قال أشجع:**

بديهته مثل تفكيره     متى رمته فهو مستجمع(23)

ولعل ذلك لم يرض أنصار القديم، فقال ابن الأعرابي في شعر المحدثين: إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس وغيره مثل الريحان يشم يوماً ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً(24) وفيما يرويه المزرباني– أيضاً – عما دار بين أبي الحسن علي بن يحيى والموصلي يؤكد اتساع الحركة النقدية حول الشعر المحدث وشدتها، حيث يقول أبو الحسن علي بن يحيى: كان اسح0اق الموصلي لا يعد أبا نواس شيئاً ويقول هو كثير الخطأ وليس على طريق الشعراء. قال: فكنت أنازله، فلا يحفل بذلك، فأنشدته يوما، "وخيمة ناطور برأس منيفة" الأبيات، قال: فما رأيته هش لذلك، فقلت: والله لو كانت لبعض الأعراب المتقدمين لكانت في أعيان الشعر عندك؟؟(25) في حين يقول العتابي عن أبي نواس: هو والله شاعر ظريف مليح الألفاظ، **إلا أنه أفرط في طلب البديع حتى قال:**

لما بدا ثعلب الصدود لنا     أرسلت كلب الوصال في طلبه(26)

وهناك بعد ثالث لهذه الخصومة ولاتساع الحركة النقدية في الشعر، وهو الغوص وراء قول الشعراء وظهور ملامح مشكلة السرقات في مفهوم النقد الشعري آنذاك، ومما يدل على ذلك المناظرة التي دارت بين أحمد بن أبي طاهر وبين أبي علي البصير، فقال أحمد بن أبي طاهر:

---

[20] – المصدر السابق 119/1/.

[21] – المرزبالي: المرشح، ص 304.

[22] –المصدر السابق، ص 262.

[23] ابن جعفر (قدامة): نقد الشعر، ص 108.

[24] – المزربالي: الموشح، ص 246/.

[25] –المصدر السابق، ص 264.

[26] –المصدر الساق، ص 271.

ناظرت أبا علي البصير وكان لا يرضى أبا النواس ولا مسلم بن الوليد ولا من كان في طريقهما من الشعراء في شعر أبي نواس، وقلت له: والله لو كان لا يجيد في كل فن قال فيه إلا في بيت أو بيتين لكان من المحسنين المتفننين في الإجادة، فمن أين تدفعه عن الإحسان، **فقال لي:**

الشعر بين المدح والهجاء، وأبو نواس لا يحسنهما، وأجود شعره في الخمر والطرد، وأحسن ما فيهما مأخوذ مسروق، وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يعفى عليه ولا ينقله حتى يجيء به نسخاً، فمن ذلك قوله: وداوني بالتي كانت هي الداء. أخذه من قول الأعشى: وأخرى تداويت منها بها والذي أخذه منه أحسن مما قاله. ومنه قوله: كان الشباب مطية الجهل أخذه من قول النابغة: فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب(27)وهناك مناظرة أخرى بين أبي أحمد يحيى بن علي المنجم وبين رجل يعرف بالمتفقة الموصلي بشأن العباس بن الأحنف والعتابي فعمل يحيى في ذلك رسالة وأنفذها إلى علي بن عيسى، وذلك بحضرة الصولي، فقال الصولي: فكان مما خاطبه به أن قال: وإن من **الشعر شعر العتابي لقصيدته التي يمدح فيها الرشيد فقال فيها:**

في مآقي انقباض عن جفونها    وفي الجفون عن الآماق تقصير

**وهذا بيت أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه غاية الإحسان وهو قوله:**

جفت عيني عن التغميض حتى    كأن جفونها عنها قصار

**فمسخه العتابي على أن بشاراً قد أخذ من قول جميل:**

كأن المحب تصير الجفون    لطول السها ولم تقصر

إلا أن بشاراً قد أحسن في أخذه ولم يبلغ جميلاً(28)

وقد نجد لتلك الخصومة بعداً رابعاً، هو بعد سياسي، في أن أبا نواس كان يحاول إدخال مذهبه بحضرة الرشيد فلم يستطع، لأن الخليفة يتحاشى الإقرار بشرب الخمر، ولذلك **يقول المبرد:** ولقد كان الرشيد يتحامى الإقرار بحضرته أو بحيث يذكر قبلة أو شرب كاس وما أشبه.. إلا أن أبا نواس كان ينسب في المديح الجليل الذي هو شأنه وفيه تصرفه وجل مذهبه؟ (29)، إلا أن الأمر اختلف بتولي الأمين الخلافة لأنه كان يمارس الحرية الدينية في سياسته، فوجد أبو نواس مندوحةً للخروج على المذهب الجديد فقال له: يا أمير المؤمنين: إن شعراء الملوك قبلي شببوا بالمدر والحجر والشاه والبقر والصوف والوبر، فغلظت طباعهم واستغلقت معانيهم ولا بصر لهم بامتداح خلفائنا، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في الإنشاد وما إن أذن له الخليفة إلا وسارع **لبدء قصيدته بوصف الخمر دون خفية إذ قال:**

ألا دارها بالماء ختى تلينها    فلن تكرم الصهباء حتى تهينها(30)

---

[27] – المصدر السابق، ص 282.

[28] – (2×2) المصدر السابق 392-294.

[29] – ديوان أبي نواس، طبعة فاخز، ص 120.

[30] المصدر السابق، ص 121.

وما إن رأى أبو نواس رضى الخليفة عن هذا الفن الجديد حتى رافق قصيدته السابقة بقصيدة أخرى، يمازج فيها وصف الخمر بالغزل بالمذكر فقال(31):

يسقيكها ذو قرطق      يهلى ويؤذي من حبس
خنث الجفون كأنه      ظبي الرياض إذا نفس
أضحى الإمام محمد      للدين نوراً يقتبس

غير أن من يخاصم الأمين في شؤون السياسة لم يرض عنه واتهموه بالخروج عن الدين مما يجعل الأمين مضطراً أن يأمر أبا نواس بترك مذهبه الجديد لينظم الشعر وفق المألوف منه فقال أبو نواس مصوراً ذلك الأمر العنيف عليه(32):

أعر شعرك الأطلال والدمن القفرا      فقد طال ما أزرى به نعتك الخمرا
دعاني إلى نعت الطول مسلّط      تضيق ذراعي أن أجوز له أمراً(33)
فسمع أمير المؤمنين، وطاعة      وإن كنت قد جشمتني مركباً وعرا(34)

وعلى الرغم من أن التجديد قد مس روح الشعر بصفة، خاصة دون ظاهره إلا أنه أسفر عن ظهور الخمريات الخالصة ومقطعات من النسيب القصية أو قصائد التأملات وشعر الحكمة، ولعل هذا كان نتيجة من نتائج الخصومة بين القديم والحديث، دون أن يترك القديم جانباً "ومع إيماننا بقوة حركة التجديد التي ظهرت في القرن الثاني لا نستطيع أن نغفل قوة الشعر القديم ونفوذه في ذلك العصر"(35)، ولعل السبب في ذلك الخصومة التي دارت بين أنصار القديم وأنصار المحدث، حيث حافظ أنصار القديم على طوابع معينة بما يفيد الحركة العلمية القائمة على الرواية والتدوين "يضاف إلى ذلك أن حركة الشعوبية في القرن الثاني استلزمت وجود حركة عربية مناوئة لها، كان من أهم أسلحتها تأييد التراث الأدبي القديم والحفاظ عليه"(36). ولعل – أيضاً – ما أنتجته تلك الخصومة من بقاء لبعض عناصر القديم، أوحت لأنيس المقدسي ألا ينكر تفوق المولدين على الأقدمين، ولكنهم – في رأيه – "لم يبتدعوا أساليب جديدة أو مواضيع جديدة تجوز لنا أن نقول إن الشعر طرأ عليه في أزمانهم تطور كبير(37).

ومن نتائج هذه الخصومة أيضاً أن العباسيين ظلوا ينظمون في الموضوعات القديمة من المديح وغيره كي يحافظوا على شخصية الشعر العربي الموروثة، ويبقى للتراث في نفوس الآخرين إرضاءً للمدوح وللعلماء "فقد مضوا يدعمونها دعماً بما لاءموا بينها وبين حياتهم العقلية الخصبة وأذواقهم المتحضرة المرهفة، فإذا هي تتجدد من جميع أطرافها تجدداً لا يقوم على التفاصيل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة، بل يقوم على

---

[31] – المصدر السابق، ص 133.

[32] – ديوان أبي نواس تح، الغزالي، ص 21.

[33] –نعت: في طبقة الحميدة "وصف"، ص 256.

[34] – فسمع وطاعة: في طبقة الحميدية: فسمعاً وطاعة، بالنصب: وكلاهما جائز ولكل تخريج جشمتني: كلفتني، وفي رواية أخرى، كلفتني، /الغزالي /21/.

[35] – هدارة (د. مصطفى): اتجاهات الشعر ص /164/.

[36] – الجواري (عبد الستار): الشعر في بغداد ص 194.

[37] – المقدسي(أنيس): أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ص 86.

التواصل الوثيق"[38]، فقد كان أبو نواس – وهو من أصحاب الثورة ضد القديم. يتصنع أشد التصنع في القصائد التي يجبر نفسه فيها على محاكاة الأقدمين في مذهبة الشعري التقليدي، وذلك في قصيدته التي **مدح بها الفضل بن الربيع والتي مطلعها**[39]:

وبلدة فيها زور    صعراء تخطى في صعر
مرت، إذا الذئب اقتفر    بها من القوم الأثر

وهذا أبو الشيص – ابن عم دعبل – الشاعر الذي سار مع ركب المجددين من الشعراء، وهو بعيد عن روح البادية كل البعد في جميع شعره، يضطر في بعض المناسبات يخاطب الديار والأطلال التزاماً بنهج القصيدة التقليدية فيقول[40]:

يا دار مالك ليس فيك أنيس    إلا معالم أيهنّ دروس
الدهر غالك أم عراك من البلى    بعد النعيم خشونة ويبوس
ما كان أخصب عيشنا بك مرة    أيام ربعك أهل مأنوس

ومع وجود مثل هذه القصائد وهؤلاء الشعراء الذين نظموا بما يتفق وأذواق بعض الناس تمشياً مع الوقوف بجانب التراث أحياناً، فكثيراً ما يلتقي معظم الشعراء بجانب عناصر التجديد، لما يوجد من أبعاد نفسية تضافرت جميعاً لتكوين رؤى فنية عند شعراء العصر، وهذه الأبعاد النفسية تنشأ من طبيعة الحياة التي تجمعهم، فراحوا يصورونها ويجسدون مواقفهم تجاهها، فاتسم شعرهم بسمات شاملة عامة، واتجاهات ذاتية خاصة، هذه كلها هي التي تحدد فعالية انتصار المحدث.

## 2- سمات الشعر واتجاهاته في القرنين الثاني والثالث:

اتصف الشعر في القرن الثاني والثالث بخصائص واتجاهات بعيدة بعض البعد عن النسق الشعري في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، لأن "صورة الحياة في القرن الثاني الهجري أخذت تتغير تغيراً واسعاً، وأصاب هذا التغير جميع جوانبها، سواءً في الحضارة أو في الثقافة... وأن الطبقة الممتازة في المجتمع من الخلفاء والوزراء والقادة والسادة ومن دار في فلكهم وانتمى بثرائه ومركزه إليهم هي التي أصابت حظاً عظيماً من الترف والبذخ، وهي أساس تحضره ومقياس رقيه، أما العامة وسواد الشعب فكان في حياتهم غير قليل من البؤس والحرمان"[41]. وقد كثر الشعر في العصر العباسي واهتموا به وأصبح له شأن كبير في تمثيل الحياة بشتى نواحيها، وسبب ذلك "أن الكثرة الوافرة من ملوك العباسيين كانوا أدباء مثقفين بل كانت لبعضهم مشاركة في قول الشعر، وكانوا بلا استثناء يحفظون قدراً كبيراُ منه"[42]. وإذا كان لنا أن نشير إلى بعض الاتجاهات الجديدة في العصر فلا

---

[38] – ضيف (د. شوقي): العصر العباسي الأول ص 159.

[39] – ديوان أبي نواس، الغزالي /438/، الصعر: صعر الرأس، والمرت: المغارة بغير نبات اقتصره: اقتفاه وتبعه.

[40] – ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص 84.

[41] – عطوان (د. حسين): مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، ص 14،13.

[42] – الشكعة (د. مصطفى): رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، ص 505،504.

بد من الإقرار بأنه "حمل راية التجديد غير شاعر إلا أن محاولاتهم اختلفت من شاعر إلى آخر لاختلاف منازعهم وأهوائهم"(43). وقبل أن نخوض في مسألة تلك السمات والاتجاهات، نفيد من تحديد ظهورها، فلعلها تولدت منذ القرن الأول، ومما يفيدنا – أيضاً– في تحديد إطار تلك الاتجاهات دراسة الدكتور شكري فيصل لتطور المجتمعات الإسلامية في القرن الأول حيث يقول:

"نشأ مدى من البعد النفسي بين الحياة في العصر العباسي وبين الحياة العربية الإسلامية في الحجاز ونجد. بل حتى في دمشق، وغزت تقاليد الفرس الدولة الجديدة، فلم تعد الحياة فيها تتصل بالصحراء العربية، ولم يعد ثمة سبيل إلى أن تتذوق ما فيها ما كانت تتذوقه في الحياة الأموية من روح الصحراء ورعيها ومن إبلها وشائها... وإنما اتصلت بالمدن الفارسية والأسر الفارسية والتقاليد الفارسية، وتركزت الحضارة والثقافة لا في المواطن العربية الأولى، بل في هذه المواطن الجديدة من مدن العراق التي كان يغلب عليها الطابع الفارسي أو في المدن الفارسية... ومن هنا جاء الأدب تعبيراً عن هذه الحياة، أعني جاء أدباً إسلامياً تظله شعائر هذه الحياة الإسلامية التي كانت خليطاً أسهمت فيه الأقوام المختلفة وأسهم فيه العرب بتقاليدهم الأدبية، وأسهم فيه الفرس وغيرهم من الأعاجم بتقاليدهم الاجتماعية، وموروث عقائدهم وتكييفهم لماضيهم مع هذا الحاضر... فالوعاء الذي نبت فيه هذا التطور كان إذاً في هذه البيئات التي خالفت عن الأصل العربي فلم تتمسك به ولم تتعصب لتقاليده الفنية أو تقاليده الاجتماعية، ولم تضع نصب أعينها النماذج الجاهلية في الشعر، ولم يكن أدبها ليدور في الحيز الذي كان يدور فيه الأدب القديم او يتصرف تصرفه"(44).

فوفقاً لما نستنتجه من تطور المجتمعات الإسلامية في القرن الثاني والثالث ولما أشار إليه الدكتور شكري فيصل نستخلص أهم الاتجاهات الشعرية السائدة في ذلك العصر، وهي:

### أ- **الاتجاه الذاتي:**

الشعر العربي القديم كان معبراً عن الحياة بلغة تناسبها إلا أن الشاعر القديم لم يحسن التعبير صراحة عما يجيش في أعماق ذاته ولم يعتد الوقوف عند وصف مشاعره وأحاسيسه بتدفق حرارة العاطفة وصدق المشاعر، بل كان يكتفي بالوصف المجرد وبطابع تقريري لبعض المظاهر التي تربطه بمصيره في الحياة. أما شعراء القرن الثاني، "فقد التفتوا إلى أنفسهم يفتشون في حناياها عن مشاعرهم وأحاسيسهم وعكفوا على قلوبهم يستنطقونها فتجيبهم وتفتح مغاليق أسرارها لهم"(45).

وقد يوجه التعبير عن الشعور إلى مخاطب، ولكن هذا التوجيه لا يقصد منه إثارة مماثل من الآخرين، وإنما يقصد به أن المتكلم يدرك بما يحس، ولهذا "أقبلت الوجهة الفنية في الشعر على الجانب الذاتي فجعلت همها ووكدها فيه فأكثرت من وصف الخمر، ومن الحديث عن الشهوة والغزل، ومن الانحراف به إلى الغزل بالمذكر"(46).

---

[43] – عطوان (د. حسين): مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، ص 213.

[44] – فيصل (د. شكري): المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، ص 401، 402.

[45] – هدارة (د. مصطفى): اتجاهات الشعر، ص 174.

[46] – الجواري (عبد الستار): الشعر في بغداد ص 212.

وفي هذه الفترة من الحياة العربية نتحقق من استطاعة الشاعر العربي على معرفة ذاته أكثر من أي وقت مضى إذ أن "الفنان، وهو يحقق تجربته، يعالج في نفسه، ما يلامس مشاعره من قلق وضيق"(47). في حين أن الدراسات التي عنيت بالأدب في جميع عصوره دلتنا على أن الشعر الذاتي بدأ بالرغبة في التعبير عن العواطف القبلية، أو الجماعية لا الفردية فالشعر الجاهلي فيه **"أنا" و"نحن" أكثر من "أنا"**. فمن المعروف أن أساس الشعر الذاتي هو الشخصية، لأنها تمس الحياة بكل أنواعها وألوانها، فهناك شعر الغناء المرح والطروب كشعر أبي نواس، والغناء الحزين الباكي كشعر أبي العتاهية، وغناء العاطفة الدينية والسياسية كشعر دعبل الخزاعي، فالشعر الذاتي يجب أن يمتعنا بعاطفته ويؤثر فينا جمالاً وحيوية من حيث التعبير والخيال والانسجام بين الموضوع والسماع، وفي هذه لا نحتاج أن نضع أنفسنا مكان الشاعر، فالشاعر قد أراحنا بوضع نفسه مكاننا، وبذلك تجدد الاتجاه الشعري الذاتي عند العرب لأنه دخل حياة جديدة، فراح الشاعر يغوص في أعماق نفسه ليعرفها ويعرف أسرارها بعد أن كانت غامضة عليه لا يعرفها إلا بين يدي ممدوحيه.

فمن الشعر الذاتي نجد أحداثاً كثيرة تبحث في مشاكل الذات الإنسانية التي تجسد هموم الشاعر الذاتية، منها مشكلة الفقر، فتصبح مصدر إلهام لبعض الشعراء الذين يعانون منها، ولعل أبا الشمقمق يعد من هذه الناحية شاعر الفقر في ذلك العصر إذ ألح على تصويره وبيان آثاره، **فيقول في إحدى قصائده الذاتية**(48):

برزت من المنازل والقباب          فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي          سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي          علي مسلماً من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب          يكون من السحاب إلى التراب

فهو يجسد واقعه المؤلم من تجربة ذاتية حتى تكاد تمثل أمامنا صورة حياته الذاتية فتوحي بإثارة المشاعر العاطفية والأحاسيس الإنسانية تجاهه. ويظهر الاتجاه الذاتي جلياً في مواقف شعراء القرن الثاني من مباهج الطبيعة ومحاسنها، ولذلك نراهم يشخصونها ويمزجون مشاعرهم الوجدانية بعناصرها حتى تكاد تكون الطبيعة عندهم إنساناً يمتاز بصدق المشاعر وروعة الإحساس، فهذا مطيع بن إياس يخاطب نخلتي حلوان، **وهو يبث إليهما مشاعره الحزينة فيقول**(49):

أسعداني يا نخلتي حلوان          وابكيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يفرق          بين الألاف والجيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفر          قة أبكاكما الذي أبكاني

ولم يقتصر الاتجاه الذاتي عند شعراء التجديد على تصوير جانب من جوانب الذات بل عبروا عن إحساسات النفس ومشاعرها في ألوان أخرى تتجلى بحسب مواقف الشعراء في القرن الثاني من حياتهم فلصالح ابن

---

[47] – يونس (د. عبد الحمي): الأسس الفنية للنقد الأدبي ص 110.

[48] – جرو تبام (جوستاف فون): شعراء عباسيون تر، محمد يوسف نجم ص 131.

[49] – المرجع السابق، ص 69.

عبد القدوس أبيات شعرية تنم عن عمق المشاعر الصادقة التي يحسها وهو حبيس في سجن الزنادقة، ولعله يعاني مرارة الإحساس من ناحيتين: كونه مع الزنادقة وهو بريءٌ منهم، ولأنه حبيس مقيد الحرية في السجن فيقول[50]:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها        فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا دخل السجان يوماً لحاجة        عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
طوى دوننا الأخبار سجن ممنع        له حارس تهدا العيون ولا يهدا
قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل        عن الناس لا تخشى فنغشي ولا نغشى
ألا أحد يأوي لأهل محلةٍ        مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

### ب- **الاتجاه الواقعي:**

لما كان الشعر تعبيراً عن جوانب الحياة المختلفة فليس غريباً أن يلتفت شعراء القرن الثاني إلى واقعهم، فصوروه تصويراً دقيقاً حتى غدا شعرهم صدىً قوياً للحياة في ذلك العصر بكل جوانبها فسمعنا أصواتاً تتطابق مع واقع الخير، وأصواتاً تتطابق مع واقع الشر، وبذلك يكون تجاوب الشعراء لواقعهم، بما صوروه انعكاساً للحياة في أنفسهم من ذلك **ما قاله حماد عجرد في سبر أخلاق الأصدقاء قبل اصطفائهم**[51]:

كم من أخٍ لك لست تنكره        ما دمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته        يلقاك بالترحيب والبشر
يطري الوفاء وذا الوفاء ويلحى        الغدر مجتهداً وذا الغدر
فإذا عدا – والدهر ذو غير        دهر عليك عدا مع الدهر
فأرفض بإجمال مودة من        يقلي المقل ويعشق المثري

ونرى شعراء كثيرين اهتموا بوصف مظاهر الحضارة العباسية المادية وما وصلت إليه من ترف في الطعام وتأنق في الملابس ومن وصف للقصور وما حولها من مظاهر الجمال كالبساتين والأزهار والغزلان وغيرها من مثل قول أبي عينية المهلبي في وصف قصر ابن عمه عمر ابن حفص المهلبي[52]:

فيا طيب ذات القصر قصراً ومنزلاً        بأفيح سهل غير وعر ولا ضنك
بغرس كأبكار الجواري وتربة        كأن ثراها ماء ورد على مسك
وسرب من الغزلان يرتعن حوله        كما استل منظوم من الدر من سلك

ولعل ما في هذا الشعر من تصوير للواقع تعبير صادق عن تقلبات الحياة وصعوبتها في كسب الرزق، وما على المرء إلا أن يتحلى بالصبر لأنه مفتاح الفرج، فمن ذلك قول محمد ابن يسير[53]:

ماذا يكلفك الروحات والدلجا        البر طوراً وطوراً تركب اللججا

---

[50] – أبو القاسم (علي بن الطاهر)، أمالي المرتضى 101/1.
[51] – أبو الفرج: الأغاني 90/13.
[52] – ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 559.
[53] – المصدر السابق ص 960.

كم من فتى قصرت في الرزق خطوته ألفته بسهام الرزق قد فلجا
إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

ولم يفتهم تصوير الأحداث والفتن التي دارت في ذلك العصر، فهي التي أوقعت بالمجتمع الفقر والبؤس والاضطراب في المعيشة، فيقول أبو يعقوب الخريمي في فتنة بغداد[54]:

يا بؤس بغداد دار مملكة دارت على أهلها دوائرها
أمهلها الله ثم عاقها لما أحاطت بها كبائرها
رق بها الدين واستخف بذي الفضل وعز الرجال فاجرها

## ج- الاتجاه الشعبي:

لقد عرف الشعر العربي أنه كان مرتبطاً ببلاطات الخلفاء والملوك والوزراء في معظم الأحوال، إلا أن شعراء القرن الثاني حاولوا – إلى حد غير قليل – الابتعاد عن ارتباطهم ذاك والنزوع إلى الروح الشعبية في محتوى الشعر ومبناه، وذلك استجابة للدوافع الشعبية التي سادت حياة العصر اليومية، فاقترب الشعراء بمشاعرهم وعواطفهم من نفوس الشعب للتعبير عن تلك الروح الشعبية بلغة تناسب الغرض، حتى نرى الناس رقت نفوسهم لما يجدون من صفاء الشاعرية وربط أحاسيس الشاعر بمشاعرهم. فمن ذلك أبيات مطيع بين إياس التي أشرنا إليها، فهي **ترتبط بحادثة شاعت بين الناس يقول**[55]:

أسعداني يا نخلتي حلوان وأبكيا لي من ريب هذا الزمان
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكم فتفترقان
كم رمتني صروف هذي الليالي بفراق الأحباب والخلان

وتلك الحادثة ملخصها – كما يرويها صاحب الأغاني – أن لمطيع جارية أحبها ولكنه في يوم من الأيام باعها فندم وحزن عليها، فخرج إلى منطقة حلوان وألقى نفسه بجوار نخلتين متلازمتين، فذكره حالهما ما كان بينه وبين جاريته، فأيقظ آلامه الفراق المر، ثم أنشد تلك الأبيات، وشاعت بين الناس، حتى جاء رجل وكتب على ساق النخلتين بيتين من شعر مطيع:

أسعدني يا نخلتي حلوان وأبكيا لي من ريب هذا الزمان
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكم فتفترقان

وكلما هَمَّ أحد بقطع إحداهن يقرأ الأبيات فلم يرض بأن يكون نحساً فيتركهما، وبلغ الأمر إلى أن المهدي هَمَّ يوماً بقطعهما غير عالم بقصتهما فذكرته جاريته بأبيات مطيع – مما يدل على شيوع الأبيات بين عامة الناس – فاستحسن ذلك منها وقال لها والله لا أقطعهما أبداً ولأوكلن بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت ثم أمر بأن يفعل فلم

---

[54] – المصدر السابق ص 543، 544.

[55] – أبو الفرج: الأغاني 107/12.

يزل في حياته على ما رسمه حتى مات(56). وفيها يقول البهبيتي "تدلك هذه القصة على مبلغ ما وصلت إليه نفوس الناس من رقة وشاعرية وصفاء وحساسية فنية تربط بين الناس هنا وبين أهل الحجاز بعد أن كانوا حفاة"(57).

وهناك أبيات مشهورة لبشار بن برد رواها الأصفهاني، وقد ربطها بموت حمار لبشار، فرآه في نومه، وقال له شعراً يذكر فيه أنه رأى أتاناً فعشقها فمات، فادعى بشار أن الحمار **قال له:**

سيدي خذني أتاناً        عند باب الأصفهاني
تيمتني ببنان        وبدل قد شجاني
ولها خد أسيل        مثل خد الشيفران

**وسئل بشار عن معنى "الشيفران" فقال:** ما يدريني هذا من غريب الحمار فإذا لقيتم حماراً فسلوه"(58).

ولعل في ذلك وضوح الاتجاه الشعبي في الشعر، والذي يميل أحياناً إلى نوع من التسلية والفكاهة الشعبية والتندر.

وبما أن التسلية واللهو يحتاجان إلى وقت، فإما أن يكون فراغاً وإما غير ذلك، ونحن لا نريد أن نزج أنفسنا في تفسير ظاهرة فلسفية هي علاقة الوقت الجاد والفراغ وأثرهما بالفن إذ "يرى بعض علماء النفس أن اللهو غريزة من الغرائز ولا يزال الجدل قائماً في موضوعه بين العلماء"(59). ويتوهم د. هدارة بأن د. عبد الحميد يونس فهم هذا النوع من الشعر أنه مقتصر على الخمر والغزل بالمذكر(60)، وذلك من نص اقتطعه د. هدارة من كتاب الرجل، وهو قوله: "والدارس للخمريات والغزل بالمذكر والمتتبع للأخبار التي قصت عن أصحابه أو لفقت عليهم يجد عنصر التسلية والترفية واضحاً كل الوضوح، وما عليك لكي تتثبت من هذا القول إلا أن ترجع إلى دواوينهم، فسوف تلاحظ الصور المطروقة والمشاهد المتكررة والأوصاف الشائعة للشراب وأوعيته ومجالسه وسقاته ودكاكينه، وأمر الغزل بالمذكر مهما قيل عن صدقه فقد خرج من باب التفنن إلى العبث الصارخ والمجون الصريح، يطلقه أصحابه على الناس تلهيةً لهم أو تفريغاً لشحنة غرائزهم"(61).

ويشير د. هدارة إلى أن هذا الاتجاه ظهر في موضوعات أخرى كثيرة مثل الهجاء والرثاء(62) وللإنصاف ننبه أن د. عبد الحميد لم يقصر ذلك الاتجاه على الخمر والغزل بالمذكر، ولو أن د. هدارة انتبه إلى ما قبل ما اقتطعه من كلام د. عبد الحميد وفي الصفحة نفسها من كتابه، **لأدراك قيمة هذا الاتجاه الشعري بما يربط به من نواحٍ فنية إذ يقول:**

"فإن الشاعر الذي كان يهجو شاعراً آخر ويشهر به وبرهطه لم يكن يفعل ذلك كما كان يفعله الشعراء الأقدمون، ولكنه كان يقصد إلى إضحاك الناس المجتمعين حوله. وكثيراً ما كان يهجو رهطاً آخر غير رهط الشاعر

---

[56] – المصدر السابق 109/12.

[57] – البهبيتي (نجيب محمد): تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص 376.

[58] – أبو الفرج: الأغاني 64/3.

[59] – يونس (د. عبد الحميد): الأسس الفنية للنقد الأدبي، ص 65.

[60] – هدارة (د. محمد مصطفى): اتجاهات الشعر في القرن الثاني، ص 193.

[61] – يونس (د. عبد الحميد): الأسس الفنية، ص 71.

[62] – هدارة (د. محمد مصطفى): اتجاهات الشعر، ص 193.

إمعاناً في التسلية او تنويعاً فيها أو طلباً لدخول عنصر آخر في مشاهدها[63] وبهذا لم تكن التسلية مقتصرة على الغزل والخمر كما فهمها د. هدارة وقد نجد تفسيراً أو تحليلاً نفسياً لوجود مثل هذا الاتجاه الشعري في القرن الثاني، لأنه يوظف من أجل الإضحاك الذي يراد منه نقداً معيناً، إما لواقع سياسي، وإما لواقع اقتصادي، وإما لواقع اجتماعي، فلا غرو أن الاتجاه الشعبي في القرن الثاني كان اتجاهاً مميزاً في الشعر.

**د- انتصار المحدث وأسبابه ونتائجه:**

لقد بات من الواضح أن الإبداع الفني الشعري وثيق الصلة بالتربية الفردية والجماعية، فهو ليس صياغة ولا تشكيلا لمادة محسوسة أو عقلية فحسب، ولكنه انعكاس الحياة أو وقع الحياة على فرد معين، ولذلك فهم الجرجاني منذ القديم هذه الحقيقة فدافع عن المحدثين بقوله: ولو أنصف أصحابنا هؤلاء لوجد يسيرهم الحق بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار[64] فإن تغير الحياة العربية أيام بني العباس أثر في حياة الشعر تأثيراً ظاهراً، ولعل إشارة الدكتور طه حسين إلى هذه الناحية تفيد في كيفية انتصار ذلك الشعر فيقول: وفي الحق أن الشعر قد سلك في أيام بني العباس طريقاً تكاد تخالف كل المخالفة طريقة أيام بني أمية، فنشأت معان جديدة وذهب الشعراء مذاهب مختلفة في وصف هذه المعاني والتعبير عنها ونشا عن هذه المذاهب المختلفة ضروب من التصرف في فنون القول والاختيار بين ألوان الكلام، ذلك أن الحياة في عصر بني العباس كانت جديدة من كل وجه، فانقطعت الصلة شيئاً فشيئاً أو كادت تنقطع بين هذه الحضارة البديعة التي كانت تزهر في بغداد وضواحي بغداد وبين هذه البداوة القاسية الخشنة التي كانت تبسط سلطانها على بلاد العرب"[65]. ووفقاً لتلك التطورات والتغيرات في السياسية وغيرها، فلم يكن الشعر القديم قادراً على مواكبة الأحداث والتطورات في المجتمع لا في موضوعاته، ولا في صوره، ولا في لغته، ولا في أوزانه، وفي هذا سر انتصار المحدث على القديم، فلا بد من موضوعات فكرية بمعانيها تمثل التطور الفكري والعقلي الذي حصل بتغير الحياة العقلية، وذلك "كان ثمرة ازدهار الحركة العلمية في العصر، فقد تغلغلت المعرفة والثقافة في جميع الأوساط حتى في أوساط العامة، وأصبحتا غذاء العقول والقلوب، وبرزت صفوة من العلماء والأدباء كان جمهورها من أبناء هؤلاء العامة قادت الحركتين العلمية والأدبية قيادة باهرة خصبة، إذ استطاعت أن تسيغ كل ما نقل إلى العربية من ثقافات متباينة وأن تضيف إليها من عقولها وقلوبها ما دعم حضارتنا العربي دعماً بما أحدثوا من علوم وبما اكتسبوا من آثار عقلية رائعة وآيات شعرية خالدة"[66]، وفضلاً عن ذلك فإن آثار الفرس والهند نقلت إلى الأجيال العربية ومعها بعض الأمزجة الأخرى سواء في السياسة والأخلاق او في العلم والفلسفة، فأنتجت تلك الأجيال أدباً لم تنتجه الحياة السابقة، لأنه يعبر عن شعور حضري خالص مما ساعد على انتصار هذا الشعر المحدث، وهو تعبير عن مشاعر الناس في شتى نواحي حياتهم ولذلك "فإن أشعار المولدين يحتاج إليها للتمثل لأنها أشكل بالدهر"[67]، وكان "للشاعر أن يجدد بما يناسب عصره"[68]، وفقاً للتطورات التي حدثت في القرن الثاني للهجرة فرضت "تغيراً للحياة الشعرية ليس إلى إنكاره من سبيل"[69]، فأشعار المحدثين في ذلك القرن قد

---

[63] -يونس (د. عبد الحميد): الأسس الفنية، ص 71.

[64] – الجرجاني: من كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، اختيار يحيى الدين صبحي، ص 54.

[65] – حسين (د. طه): حديثة الأربعاء 20/2.

[66] – ضيف (د. شوقي): العصر العباسي الأول، ص 108، 109.

[67] – المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ص 224.

[68] – عباس (د. إحسان): تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 113.

[69] – حسين (د. طه): حديث الأربعاء 22/2.

تركت أثراً واضحاً لا سبيل إلى الاستغناء عنه. أهم تلك الآثار في مقدمات القصائد الموزعة بين دائرتين: قديمة وجديدة، فالمقدمة القديمة خلقت في صورة جديدة(70). "وينعكس على مرآة الدائرة الثانية ألوان شتى من المقدمات، وهي ألوان مستمدة من طبيعة الحياة في العصر ومن البيئة الاجتماعية والحضارية"(71). حيث نجد من تلك المقدمات أيضاً مقدمة خمرية، ومقدمة في الحكمة وثالثة في الربيع أو السحاب وغير ذلك من أنواع المقدمات. فما يزال الشاعر العباسي يفتق موضوعات جديدة سواء في مقطوعاته او قصائده وراح يبحث عن موضوعات أخرى يستلهمها من البيئة الحضارية والحياة الفكرية الراقية في مجتمعه، وقد رافق تجديد الموضوعات تجديد في الأوزان كي ينسجم مع الغناء بأنغام حلوة عذبة إرضاءً لذوق المغنين والمغنيات في النظم والتلحين من حيث الرشاقة والنعومة "فمن جهة صفيت لغة الشعر وبلغت كل ما يمكن من رشاقة وعذوبة... ومن جهة ثانية اتسعت الملائمات الموسيقية العروضية مع الغناء، فإذا القصيدة الطويلة تكاد تختص بالشعر الرسمي شعر المديح والرثاء، ومضى الشعراء ينظمون في الأوزان الخفيفة والمجزوءة"(72). **ومن مثل قول مطيع(73):**

ويلي ممن جفاني          وحبه قد براني
وطيفه يلقاني          وشخصه غير دان
أغر كالبدر تعشى          بحسنه العينان
وليس يغنم إلا          سكران مع سكران
يسقيه كل غلام          كأنه غصن بان
من خندريس عقار          كحمرة الأرجوان

فكان هؤلاء الشعراء يمثلون عصرهم تمثيلاً دقيقاً، إذ غير العصر الشعر، فأحدث فيه سهولة في التعبير، لأنه أطلق للعواطف والأهواء حريتها حيث انطلقت الألسنة بوصف هذه العواطف والأهواء.

لقد تراجع رقيب الدين والأخلاق على الحياة، ففكر الناس كما أحبوا، وعاشوا كما أرادوا تاركين السياسة لأهلها، فقوت سلطتها وتركت ألسنة العواطف حرةً تعبر عما يجيش في صدرها، ونشأ من حرية العواطف تنافس في اللذة وتسابق إليها، ونشأ عن ذلك تنافس في وصفها وتسابق إلى إجادة هذا الوصف، فتغيرت بعض ألفاظ الشعراء بما يناسب موضوعاتهم في الأغراض الشعرية المعروفة، إذا كان الأمر كذلك، فليس من الغريب أن يلتفت بعض الشعراء إلى تجسيد مواقفهم المذهبية نتيجة لكثرة الأقوال والمعتقدات المذهبية التي تركتها آثار الالتقاء الثقافي بين العرب وغيرهم، فاشتد توقد الأذهان عند الشعراء، وأصبح قول الشعر أيسر وأسهل في هذا العصر منه في العصور الماضية، وكانت النتيجة الشعرية لهذا القرن (الثاني) أضخم وأعظم منها في غيره من القرون، بحيث إذا اجتمع الناس مع بعضهم تحدثوا أو كادوا يتحدثون شعراً لا نثراً، وفي هذا دليل كاف على انتصار هذا الشعر المحدث وتفوق رواده الذين عانوا كثيراً من النقد والاستهجان بحقهم وبحق شعرهم، كما أن التطورات الموافقة لهذا

---

[70] – عطوان (د. حسين): مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، ص 21.

[71] – المرجع السابق، ص 43.

[72] – ضيف (د. شوقي): العصر العباسي الأول، ص 193.

[73] – أبو الفرج: الأغاني 21/88،87/.

الشعر كتبت له الانتصار، ليترك في المجتمع أعظم الآثار، تروى بأروع الشعار، حتى **يقال**: "**أن المأمون لما سمع قول أبي نواس:**

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

أمر وهو بخراسان أن يخطب بهذا البيت على المنابر ويقول الخاطب: "يستحسن محمد قول من يقول مثل هذا"[74]. وكل هذا كان بغير شك بتأثير الأوضاع الاجتماعية وتكوين المجتمع الجديد في العصر العباسي.

"فجنح الخلفاء والوزراء والأثرياء إلى التكلف بأدوات الحضارة والإسراف في طلب الغريب من مظاهرها، وتزحزح فريق من العلماء عن موقف أسلافهم المنحاز للقديم المتعصب على الحديث، لأنهم أدركوا أنه ينبغي عليهم أن يقلعوا عن طعنهم على الشعراء المحدثين وأن يشجعوهم على التوليد والاختراع، لسبب بسيط وهو أنه اتضح لهم أن القصيدة العربية استقام شكلها وتماثلت أقسامها... حتى لقد ضاق الميدان على الشعراء المتأخرين ولم يعد أمامهم إلا أن يعمدوا إلى التحوير في المعاني والصور والتجديد فيها والإضافة إليها"[75]. فالشاعر يحور ويعدل قدر طاقته وإن تعرض بعض الوقت لسخط الساخطين، وشيئاً فشيئاً استطاع الذوق الجديد أن يفرض نفسه ويؤكد وجوده، فلم نبعد إذا قلنا: "إن المجتمع العباسي خلق ذوقاً جديداً لإنسان العصر، وأن هذا الذوق كان له تأثير في تغيير كثير من التصورات والمفاهيم الأدبية ومن ثم في النتاج الأدبي ذاته"[76]. لأن النتاج الأدبي "هو إنتاج رغبة الفنان في أن يجسم مشاعره في شيء، ولكن المتلقي لا يتأمل سوى الشيء نفسه دون أن يشير مطلقاً إلى مسألة ما إذا كان هذا الشيء من إنتاج الفن او الطبية"[77]. وبذلك فإن الشعراء في القرن الثاني قد عاشوا تجربة شعرية عكست محنةً إنسانية كانت صراعاً متوقداً في نفوس الآخرين، وهذا يعود: "إلى ما نسميه الآن بواقعية التجربة الشعرية، أي أن يشتق الشاعر موضوعات شعره مما يعانيه في حياته وفي بيئته المادية والاجتماعية الخاصة"[78]. وقد يظن بعضنا أن تلك التجربة خاضعة لمجمل عادات اجتماعية يعيشها الشاعر، لذلك "يجب أن نفرق بين التجربة الشعورية التي تنزع بالفنان إلى تحقيق وجوده بوساطة التعبير عنها، وبين العادات التي تصاحبه عند الشروع في توضيح التجربة لنفسه... فإن الإبانة عن التجربة بالتعبير الفني إنما هو وسيلة الفنان إلى التوازن الواجب بينه. وبين مجتمعه، وعندئذ ندرك قيمة التجربة المزدوجة في تحقيق الذات وتوازنها"[79]، وقبل أن نختم الحديث عن انتصار المحدث ونتائجه سنعرض فكرةً لكاتب روسي كبير هو "أغناطيوس كراتشكوفسكي" يصف فيها عصر العباسيين والشعر في أيامهم، ولكنه سرعان ما تتكشف نظرته – كغيره من الدارسين الأجانب عن طمس حق العرب في التطور وقدرة شعرائهم وشعرهم على مواكبة تطور العصر إذ يقول: "إن أطر القصيدة العربية وشعرهم أصبحت ضيقةً ومع أن التقاليد ظلت قوية كالسابق، فقد بدأت المحاولات للخروج عنها محاولات واعية، ولكنه في بعض الأحيان ساذجة"[80]، الحضاري والفكري الذي نهض به المجتمع العربي في العصر العباسي، ومهما يكن من أمر فإن كتابات الأجانب

---

[74] – المرزباني: الموشح، ص 289.

[75] – عطوان (د. حسين): مقدمة القصيدة في العصر العباسي الثاني، ص 403.

[76] – إسماعيل (د. عز الدين): في الأدب العباسي 334.

[77] – إسماعيل (د. عز الدين): الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 35.

[78] – إسماعيل (د. عز الدين): في الأدب العباسي 338.

[79] – يونس (د. عبد الحميد): الأسس الفنية، ص 103.

[80] – كراتشكوفسكي (أغناطيوس): دراسات في تاريخ الأدب العربي، منتخبات، ص 19.

تبقى لهم لا تفرض علينا موقفاً فكرياً نبينه على آرائهم، فقد انتصر المحدث متمثلاً برواده العظام أمثال أبي نواس ومسلم وبشار ودعبل وغيرهم، لأنه يمثل تطور العصر الذي فرض نفسه على الواقع العربي فكراً وشعراً لا ينضب عطاؤه عبر التاريخ.

## الاستنتاجات والتوصيات:

ولعلنا نستنتج مما تقدم ومما ناقشناه في البحث أن العصر العباسي كان يعج بالفكر والإبداع إضافة إلى الملابسات والتناقضات التي تشابكت مع حركة التطور مما أدى إلى غموض كثير من الحقائق المهمة سواء في التاريخ أم في الإبداع، وتكون مهمة الباحث المضنية في كشفه لتلك الحقائق التي يجب أن يتعامل معها بكل شفافية ومصداقية دون محاباة أو الانسياق وراء العواطف ومن هنا تأتي توصيتنا بأن نتعامل مع المعطيات الإبداعية والتاريخية بمنطق الحق والصدق وأن نتعمق أكثر في تراثنا لأنه المعين أكثر الذي لا ينضب.

## المراجع:

**المصادر:**

1) أبو القاسم (علي بن الطاهر): أمالي المرتضى – مطبعة السعادة بمصر 1907.
2) أبو نواس (الحسن بن هاني): الديوان، تح الغزالي دار الكتاب العربي بيروت 1984.
الديوان، تح، فاجنر، لجنة التأليف والنشر – القاهرة 1958.
3) الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني، دار المعرفة بيروت.
4) الجرجاني (عبد القاهر): من كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومة، اختيار يحيى الدين صبحي، وزارة الثقافة دمشق 1978.
5) ابن جعفر (قدامة): نقد الشعر، تح، محمد عبد المنعم خفاجي.
6) ابن رشيق : العمدة، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجبل بيروت 1972.
7) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، مطبعة ريل 1902.
8) ابن المعتز: طبقات الشعراء، تح عبد الستار فراج، دار المعارف بمصر ط2.
9) المبرد (محمد بن يزيد): الكامل في اللغة والأدب، تح لجنة بن المحققين، المعارف، بيروت.
10) المزيرباني (محمد بن عمران): الموشح، المطبعة السلفية بمصر 1343 هـ.

**المراجع:**

1) إسماعيل (د. عز الدين): في الأدب العباسي. دار النهضة بيروت 1975.
2) البهبيتي (نجيب محمد): تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الفكر ط4، 1970.
3) الجواري (عبد الستار): الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث، دار الكشاف 1956.
4) حسين (د. طه): حديث الأربعاء أمراء النقد الأدبي عند العرب – دار الأمانة ط1 1971.
5) الشكعة (د. مصطفى): رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، دار النهضة بيروت 1972.

6) عاش (د. احسان): تاريخ النقد الأدبي عند العرب دار الأمانة ط1 ، 1971
7) عزام (محمد): الأسلوبية منهجاً نقدياً. منشورات وزارة الثقافة دمشق 1989.
8) عصفور (د. رجاء): مفهوم الشعر – دار التنوير للنشر بيروت ط2، 1982.
9) عطوان (د. حسين): مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول دار المعارف بمصر 1974.
10) فيصل (د. شكري): المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، مطبعة المثنى بغداد والخانجي بمصر 1952.
11) الكفراوي (د. محمد العزيز): الشعر العربي بين الجمود والتطور، دار القلم بيروت ط2.
12) المقدسي (أنيس): أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار القلم للملايين بيروت ط 1971.
13) هدارة (د. محمد مصطفى): اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري دار المعارف بمصر ط2 1970.
14) يونس (د. عبد الحميد): الأسس الفنية للنقد الأدبي دار المعارف بالقاهرة 1964.

**المراجع الأجنبية المترجمة:**

1) بروتيام (جوستاف فون): شعراء عباسيون، تح، محمد يوسف نجم مكتبة الحياة بيروت 1959.
2) كراتشكوفسكي (أغناطيوس): دراسات في تاريخ الأدب العربي، منتجات، ترجمة الروسية موسكو 1965.